المذبح

هذه الترجمة الكاملة لرواية
El matadero
Esteban Echeverría

المذبح
إستبان إشفريا

ترجمة / شروق عبد الرحمن الحامولي

إشراف ترجمة / خالد طوبار

سلسلة من كل بلد كتاب - رواية قصيرة من الأرجنتين

الطبعة الأولى/ القاهرة ٢٠١٤

رقم الإيداع:- ٢٠١٤/٥٠٥٢

ISBN :٩٧٨-٩٧٧-٥١٨٥-٣٨-٩

وكالة سفنكس

٧ شارع معروف الدور السابع

وسط البلد – القاهرة

ت/ف: ٠٠٢ ٠٢ ٢٥٧٩٢٨٦٥

www.sphinxagency.com

info@sphinxagency.com

جميع الحقوق محفوظة للناشر، ويحظر نشر أواقتباس هذا العمل أو أي جزء منه دون إذن كتابي من الناشر، ومن يخالف ذلك يتعرض للمساءلة القانونية

Work published within the framework of «Sur» Translation Support Program of the Ministry of Foreign Affairs. «International Trade and Worship of the Argentine Republic»

Sphinx Agency © 2014

المذبح

إستبان إشفريا

وكالة سفنكس

مقدمة

عن الكاتب:

هـو إسـتبان إشـفريا (٢ سـبتمبر ١٨٠٥ - ١٩ ينايـر ١٨٥١)، وهـو كاتـب وشـاعر اشـتهر بالكتابـات الخياليـة والرومانسـية ، وهـو الناشـط السـياسي الـذي لعـب دورًا هامًا في تطـور الأدب الأرجنتيني، ليـس فقـط مـن خـلال كتاباتـه ولكـن مـن خـلال الدعـم والجهـود التنظيميـة لهـا، ويعتـبر واحـدًا مـن أكـثر الكتـاب رومانسـية في أمريـكا اللاتينيـة.

عن حياته:

قـضى إسـتبان خمـس سـنوات حاسـمة في باريـس مـا بـين عامـي (١٨٢٥-١٨٣٠)، وكان واحـدًا مـن أهـم مروجـي الحركـة الرومانسـية في فرنسـا، ثـم عـاد إلى الأرجنتـين وتحديـدًا (بوينـس إيـرس) .

وكان عضـوا شـاباً مـن مجموعـة مثقفـي الأرجنتـين. ونظـم في عـام ١٨٤٠ رابطـة «جمعيـة

مايـو» التـي كانـت بمثابـة خطـوة للثـورة التـي بـدأت في الأرجنتـين وقادتهـا نحـو الاسـتقلال.

وكانـت هـذه الرابطـة أيضـا تطمـح في تطويـر الأدب الوطنـي لـكي يسـتجيب ويتـماشى مـع الواقـع الاجتماعـي والمـادي الـذي كان سـائراً هـذه الفـترة في البـلاد.

وكـرس إسـتبان نفسـه للإطاحـة بعمـدة (بوينـس آيـرس(«خـوان مانويـل دي روسـاس» في عـام ١٨٤٠، مـما اضطـره إلى الذهـاب للمنفـى في أوروجـواي حيـث كتـب روايـة «المذبـح».

وبقـي إسـتبان في أوروجـواي حتـى وفاتـه في عـام ١٨٥١.

وبعـد وفاتـه تـم تأسـيس حـزب سـياسي عـام ١٩١٣ يحمـل اسـمه، وذلـك تكريمـاً وتخليـداً لذكـراه.

أهم كتاباته:

اعتمدت شهرة إستبان ككاتب إلى حد كبير على هذه الرواية القصيرة والقوية «المذبح»، لأنها كانت علامة فارقة في تاريخ الأدب الأمريكي اللاتيني. حيث سلط الضوء من خلالها بشكل كبير على الصدام بين «الحضارة والهمجية».

هذا الصدام كان يعتبر هو حجر الزاوية لجوهر الثقافة آنذاك. واعتبر الكثيرون رواية «المذبح» هي الرمز السياسي الذي يرمز به إلى الحماية الممنوحة من قبل الساسة إلى هذا النوع من البلطجية والذي تم سرده ووصفه في الرواية، حيث قتلوا الشاب بدم بارد، والذي كان محورا وبطلا للرواية.

هذا السلوك يحسب بالطبع إلى جانب الهمجية. أما القتيل الشباب فهو رمزا للحضارة.

المذبح

رغم أن ما سيتم سرده من أحداث تاريخية، إلا أني لن أبدأ بسرد قصة نوح ومكانته بين أسلافه كما تعود المؤرخون القدامى، المفترض فيهم المثالية والنموذجية. حيث تكمن في داخلي أسباب عدة لعدم اتباع هذه النماذج وأحاول تجنبها حتى لا أصبح شخصًا مبهمًا. كل ما سأذكره أن تلك الأحداث وقعت في القرن التاسع عشر، في وقت الصوم، عندما شحت اللحوم في بوينس إيرس (عاصمة الأرجنتين)، لأن الكنيسة قد تبنت وصية إبكتيوس وهى المعاناة والزهد، حيث أمرت المؤمنين بقيام الصلاة في الليل والتقشف والعفة، وبناءً على ذلك أصبحت اللحوم من

المحرمات، وكما يقول المثل: ابحث عن اللحم. وبما أن الكنيسة تعتبر ظل الله على الأرض والإمبراطورية الروحية للمعرفة وللبطون أو الماديات، ومختصة بالتشريعات الدنيوية منذ زمن بعيد، لذا لا توجد مؤسسة أخرى أكثر عدلاً ومصداقية أو سلطة.

من جهة أخرى يعلم المونون، وهم أشخاص فيدراليون وكاثوليك مؤمنون أن شعب بوينس إيرس علي أتم الاستعداد للطاعة العمياء لكل وصايا الكنيسة، لذا يحضرون العجول الصغيرة اللازمة إلي المذبح لإطعام الأطفال والمرضى المعفيين من الصوم بأمر الكنيسة، وليس بهدف مضايقة المهرطقين الذين هم أول من ينتهك وصايا الكنيسة، ويفسد المجتمع بأعمالهم السيئة.

هطلت الأمطار بغزارة حتى غرقت الطرق وأصبحت كمستنقعات عائمة وطفحت شوارع المدينة بالوحل. وفجأة اندفع السيل الهادر إلى النهر الصغير في بارراكس (منطقة في بوينس إيرس) ثم امتد بمياهه العكرة حتى وصل إلى حي ألتو. وازدادت الأودية بكثرة واندفعت المياه التي جاءت بحثًا عن مجرى لها، وأخذت تجري بطريقة سريعة إلى الحقول والقرى، حتى أصبحت بحيرة مترامية الأطراف حول الأراضي المنخفضة.

أصبحت المدينة مطوقة من الشمال إلى الشرق بالمياه والوحل ومن الجنوب ببحر أبيض تطفو عدة قوارب علي سطحه بطريقة عشوائية، وتلقي بظلالها علي المداخن وقمم الأشجار، ومن الأبراج والأودية ألقى سكان المدينة نظرات مفاجأة نحو الأفق مناشدة الرحمة من الملأ الأعلى، وظهرت إشارة علي بدء

فيضان جديد، وقام المتعبدين بأداء الصلاة واستمروا في الدعاء.

شوه رجال الدين صورة الكنيسة من خلال منابرهم قائلين: إنه يوم القيامة وأن نهاية العالم قادمة، وأن الغضب الإلهي قد فاض وتمثل في صورة فيضان. الويل لكم أيها المذنبون! الويل لكم أيها الاتحاديون الزنادقة لأنكم تسخرون من الكنيسة والقديسين ولا تستمعون باحترام لكلام رجال الله! الويل لكم إذا لم تتضرعوا طالبين الرحمة عند مذابح الكنائس، وستصل الساعة المهيبة واللعنات المحتدمة التي تشيب لها الرؤوس، لقد صب الله جام غضبه على مدينتنا بسبب زندقتكم وكفركم وجرائمكم البشعة تجاه أنفسكم، والآن اتضح لكم أيها الملعونين عدالة الله في انتصارالفيدراليين.

خرجت النساء البائسات من الكنيسة محطمات، وبطبيعة الحال ألقين باللوم على الاتحاديين في هذه الفاجعة، واستمر هطول الأمطار وازداد الفيضان مبرهنًا على صدق نبوءة الوعاظ (رجال الدين)، وبدأت الكنائس في ترتيل الصلوات بأمر من المصلح الكاثوليكي الذى كان في نفسه من الأمر شيء، وشعر الاتحاديون الزنادقة بالخوف عند رؤيتهم للوجوه النادمة وسماعهم للعنات تنهال عليهم من كل حدب وصوب.

سار السكان حفاة في موكب بعد هذا الحديث، حاسرين الرؤوس، تحت مظلة أسقف وبابا الكنيسة إلى بالكارسى (منطقة في بوينوس إيرس) حيث تجنب الآلاف شيطان الفيضان الذي سببه الاتحاديون، وكان ينبغي عليهم التوسل إلى رحمة الله.

تحسنت الأحوال فجأة وأصبحت الشعائر المنتوية من قبل السكان بلا معنى، وذلك لانخفاض الأودية وجفاف الفيضان ببطيء في قاعه الشاسع دون الحاجه إلى تضرع أو دعاء.

أهم ما في تلك الأحداث، أن الفيضان تسبب في خلو المذبح من البقر لمدة خمسة عشر يومًا، لذا تم استهلاك جميع ثيران المزارعين والساقيين لسد حاجة المدينة من الطعام، وتغذى الأطفال والمرضى المساكين على البيض و الدجاج، أما الأجانب والمهرطقين فتغذوا على شرائح اللحم المشوي، وتسببت ندرة اللحوم الشائعة في المدينة إلى تساهل الكنيسة التام مع الشعب، خاصة أن اللحوم لم تكن يومًا مباركة من قبل الكنيسة، وأصبحت الدجاجة بستة بيسو (عملة الأرجنتين) والبيضة بأربعة بيسو، أما الأسماك فكانت مكلفة للغاية.

لم يكن هناك طعام غير ملائم للصوم ولا إفراط في الشهية، وفي المقابل زُهقت أرواح لا تعد ولا تحصى وما حدث كان كابوسًا، ولم يتبق من آلاف الفئران التي كانت تتخذ المذبح مأوى لها فأرا واحدا على قيد الحياة. لقد ماتوا جميعًا في كهوفهم إما جوعًا أو غرقًا بسبب المطر المستمر، وتفرقت العديد من فضلات الحيوانات السوداء عبر المدينة، وتوجه الكثير من الخفافيش لالتهام ما يمكن التهامه، وهجرت الكلاب والنوارس المذبح للبحث عن طعام حيواني، وكانوا فيما مضى في منافسات مستمرة فيما بينهم للحصول على الطعام.

أنهك بعض المرضى كبار السن نتيجة لنقص الحساء المغذي، وكان الموت المفاجئ لبعض الأجانب المارقين شيئًا ملحوظًا، وهم الذين ارتكبوا الكثير من الأخطاء كعدم احترام الصيام والتخمة لاسرافهم في تناول السجق ولحم الخنزير والأسماك، وبذلك ذهبوا إلى العالم الآخر ليدفعوا ثمن خطاياهم البغيضة

المُرتكبــة في أيــام الصــوم.

رأى بعـض الأطبـاء أنـه في حـال اسـتمرار اختفـاء اللحـوم سـيُصاب نصـف الشـعب بالإغـماء وذلـك لاعتيـاد معداتهـم عـلى الامتـلاء، وكان ملاحظـا هــذا التناقــض بــين تنبــؤات العلــم المحزنــة وتحريــم وتكفــير الآبــاء القسيســين للتغذيــة الحيوانيــة خاصــة في الأيــام المخصصــة للصيــام والتوبــة.

ومــن هنــا اندلعــت حــرب ضروس بــين المعــدة والعلــم، مدعومــة مــن شــهية لا ترحــم وتبجــح آبــاء الكنيســة المكلفيــن بعــدم التســامح مــع أي ذنــب لا يتوافــق مــع الأعــراف الكاثوليكيــة قائلــين أن انتفـاخ أمعـاء السـكان ناتـج عـن أكل السـمك والفاصوليـا وأطعمـة أخـرى غـير قابلـة للهضـم،

واتسمت تلك الحرب بالصراخ والنحيب والأقوال الغير لائقة في المواعظ الدينية، كما اتسمت أيضًا بالإشاعات والصخب المفاجئ في بيوت وشوارع المدينة وحيثما اجتمع الناس.

قلقت الحكومة الأبوية المتبصرة بعض الشيء وأعتقد المصلح أن هذا الشغب له أصل ثوري نسبه إلى الاتحاديين المتوحشين الذين جلبت ذنوبهم فيضان الغضب الإلهي علي المدينة حسب أقوال رجال الدين، لذلك نشر أتباعه بين السكان كإجراء احتياطي، وأخيراً كمطلع جيد على الأحداث أصدر مرسومًا هادئًا عن العلوم والبطون يعتبر عنوانه حكيم وورع للغاية حيث كتب عن ذلك الوقت العصيب الذي مرت به المدينه محاطة بالمياه مما تسبب في فناء الماشية.

دخل قطيع من العجول السمينة إلى مذبح ألتو عومًا عبر ممر بورجيس في اليوم السادس عشر للغلاء عشية يوم الآلام، ولكن هذا العدد يعد قليًلا بالنسبة إلى شعب اعتاد على استهلاك ما يقرب من مائتين وخمسين إلى ثلاثمائة عجلاً يوميًا، ويتلذذ ثلث الشعب بالعجول بعيدًا عن القانون الكنسي الخاص بالتغذية الحيوانية، والغريب في الأمر أنه سيكون هناك معدة محظوظة ومعدة أخرى خاضعة لقوانين الكنيسة الحصينة، وبذلك فالكنيسة تمتلك مفتاح البطون.

إذا افترضنا أن الشيطان ينفذ إلى جسد آكلي اللحوم فمن المفترض أيضًا أن الكنيسة قادرة على استحضار هذا الشيطان، ولكن القضية هي إخضاع إرادة الإنسان وتحويلها إلى آلة تتحكم فيها الكنيسة والحكومة، وربما يأتي اليوم الذي يُحَرَم فيه تنفس الهواء الحر أو

الترجل أو حتى الحديث مع صديق دون إذن من السلطات المختصة كما كان الحال السعيد في أيام أجدادنا السعداء، ولكن لسوء الحظ جاءت ثورة مايو لتزعجهم، وليكن الأمر كما كان.

وعلى ذكر الحكومة المدبرة امتلأ فناء مذبح ألتو بالخمسمائة عجل المخصصين له على الرغم من الوحل وآكلي اللحوم الفضوليين الذين استقبلوهم بالصياح والتصفيق الحاد، وهتفت فتاة سمينة قائلة: تحيا الفيدرالية.. يعيش المصلح، ويجب أن يعلم القراء أن في ذلك الوقت كانت الفيدرالية في كل مكان حتي بين قذارات المذبح فالاحتفال دون المصلح كالخطبة دون سان أجوستين (قديس مسيحي).

يُحكى أن الفئران المتبقية في كهوفها والتي تحتضر من الجوع شرعت في الجري بنشاط بعد سماعها تلك الصرخات الجامحة المبشرة بعودة هذا المكان المعتاد على الفرح و الضجة ووفرة اللحوم إلى سابق عهده.

ذهبت مجموعة من آكلي اللحوم إلى المصلح عاشق اللحم المشوي ليعرضوا عليه باسم فيدراليين المذبح أول عجل مذبوح، مُعلنين بذلك امتنانهم للحكومة الناجحة وتأييدهم المطلق للمصلح وكرههم الكبير للاتحاديين المتوحشين أعداء الله والإنسان، وأجابهم المصلح بعد إصرار وأنهى الاحتفال بصراخ وهتافات المتفرجين والممثلين، ويُعتقد أن سيادة المصلح لديه عذره الخاص لعدم التمسك بالهدية فهو

راعٍ جيد للقوانين وكاثوليكي محافظ وحامي متحمس للدين، لذا لم يكن بوسعه قبول هدية مشابهة في هذا اليوم المقدس.

استمرت المذبحة وخلال ربع ساعة تم ذبح ٤٩ عجلاً على أرض المذبح وسلخهم واحدًا تلو الآخر. كان المشهد حينئذ حماسي وخلاب عند نهر بلاتا، على الرغم من احتشاد الطبقة الدُنيا التي ظهر منها كل ما هو قذر ومشوه وقبيح بدرجة فظيعة، ومع اكتمال هذا المشهد سنجد أن القارئ شعر أنه تلقى ضربة على عينيه من الصدمة.

يقع مذبح ألتو جنوب المدينة ويوجد على مساحة شاسعة على شكل مستطيل عند نهاية شارعين واحد منهم ينتهي به والآخر يمتد ناحية الشرق، تلك الارض المنخفضة في الجنوب تم قطعها عن طريق مجرى أحدثته مياه الأمطار، ويظهر على حواف المذبح الجانبية

كهوف للفئران لا حصر لها منذ أيام الفيضان، كما أنه ملطخ بالدماء الجافه والحديثة للمذبح، وفي الناحية الغربية عند الزاوية المستقيمة يقع نزل صغير عبارة عن مبنى قصير مكون من ثلاثة طوابق، ولديه ممر يطل على الشارع مباشرةً وسياج خشبي لربط الأحصنة بالإضافة إلى

عدة زرائب بأبواب متينة لحبس الماشية خلف هذا السياج، وعندما يحل الشتاء في تلك الزرائب تغوص الحيوانات في هذا الوحل حتى الكتف وتمكث متلاصقة بدون حركة.

وفي هذا المنزل الصغير يتم تحصيل الضرائب، بالإضافة إلى الغرامات وذلك بسبب انتهاك القانون، حيث يجلس القاضي وهو شخصية مهمة وزعيم آكلي اللحم، ويمثل قمة السلطة في المذبح بتفويض من المصلح، وأعتقد أنه من السهل تخيل نوعية الرجال المطلوبين لأداء

مثل هذا المنصب.

من جهة أخرى، هذا المنزل متواضع وصغير لدرجة أنه غير ملحوظ بين الزرائب، ومكتوب على واجهته البيضاء بطريقة غير بارزة باللون الأحمر التالي: (تحيا الفيدرالية.. يعيش المصلح والسيدة البطلة.. الموت للاتحاديين المتوحشين)، وعبارات أخرى هامة تدل على الإيمان السياسي والديني لسكان المذبح، وربما لا يعلم عدد من القراء أن السيدة البطلة هي نفسها زوجة المصلح المتوفاة، وهي العزيزة علي قلوب آكلي اللحم، ورغم أنها متوفاة إلا أنها مبجلة كالأحياء وذلك لإيمانها ودورها البطولي في الثورة ضد بالكارسي (سياسي أرجنتيني).

وفي الذكرى السنوية لهذا العمل البطولي الفيدرالي، يحتفل آكلي اللحم بوليمة فاخرة

في هـذا المنـزل الصغـير، حيـث يجتمـع المصلـح مـع ابنتـه وسـيدات فيدراليـات أخريـات، وتقـدم الرعايـة الفيدراليـة لذلـك الجمـع الكبـير من النـاس بشـكل رسـمي. وقـام المحتفلـين بتنصيـب تلـك السـيدة البطلـة كراعيـة للمذبـح لسـبب خـاص بهـم وطبـع اسـمها عـلى حوائط المنـزل بحـماس، ذلـك الإسـم الـذي ظـل باقيًـا حتـى تمحيـه آثـار الزمـن.

كان المذبـح عـن بعـد مليـئ بالحركـة ويبـدو غريـب الشـكل، وذُبِـح تسـع وأربعـون عجـلاً وكانـت رؤوسـهم ملقـاة عـلى جلودهـم ومـشي مـا يقـرب مـن مائتـين شـخص عـلى الأرض الغارقـة بدمائهـم، وظهـرت مجموعـة مـن الأشـكال البشريـة المميـزة والخاصـة بالأجنـاس وألـوان البـشرة المختلفـة حـول كل رأس من رؤوس الماشـية، وكانـت الأشـكال الأكـثر بـروزًا هـي جـزار ممسـكًا بسـكين، وأذرع وصـدور عاريـة، وشـعر

طويل أشعث، وقميص وبنطال بالإضافة إلى ملامح بشرية ملوثة بالدماء.

تحرك من الوراء مجموعة من الخدم لديهم ندبات وجروح سوداء قبيحة مثل خفافيش الأساطير حتي اختلطوا مع الآخرين من معازيم الحفل، وما أن تشممتهم كلاب الحراسة حتى زمجرت وجرحتهم بأنيابها، ولُوحِظ في بداية هذه المذبحة أكثر من أربعين عربة مُغطاة بجلد داكن اللون ومقشر تترنح بشكل غير منتظم على امتداد الشاطئ، وعبر بينهم بخطوات واسعة مجموعة من الفرسان على أحصنتهم يرتدون عباءات مزخرفة بلا أكمام (ملابس خاصة بالرعاة في أمريكا الجنوبية)، ممسكين بمصيدة مصنوعة من الجلد الرقيق لصيد الحيوانات، وأمالت الأحصنة رؤوسها لتلقي نظرة متثاقلة على تلك المجموعات المتحركة على بعد خطوات قريبة منهم وهي

حشد من النوارس البيضاء المائلة إلى الزرقة عائدة من الهجرة إلى رائحة اللحم، ترفرف في السماء وتقوم بعمل أصوات غير متناغمة (تجعجع) وتخفي ضجة المذبح، وهذا الحشد الكبير من النوارس أسقط ظلا واضحاً على تلك الساحة التابعة للمذبح الكريه. لكن بينما يقترب سرب النوارس يتغير المشهد تمامًا حيث تراجعت الحشود فجأة وشكلت مجموعات جديدة في حركات مختلفة وأخذت تطير متناثرة كما لو أن أحدًا قد أطلق عليها الرصاص أو بمعنى أصح أطل عليهم فك كلب حراسة غاضب.

حدث ذلك أثناء تقسيم الجزار اللحم بضربات الفأس، حيث علق الذبائح في غرفة أخرى وسلخ في غرفة ثانية واستخرج الشحم في غرفة ثالثة، قام بتلك الأمور بينما يلقي الرعاع نظراتهم على الذبائح وينتظرون الأحشاء

القابلة للأكل، ومن حين إلى آخر تخرج يد قذرة ممسكة بسكين من بين جموع الرعاع لتأخذ قطعة من اللحم أو الشحم مما تسبب في انفجار غضب الجزار ومعاونيه بالإضافة إلى صراخ وألفاظ غير لائقة من قبل الشباب الصغار.

صرخ شخص قائلا: هذه المرأة عديمة الإحترام وضعت الدهن في الأباريق.

أجابت المرأة السوداء قائلة: لا بل هو من أخفى الدهن في جيب بنطاله.

صرخ الجزار بغضب قائلا: أخرجي من هنا أيتها السوداء الحمقاء قبل أن أقتلك.

ثم قال الجزار: ماذا نفعل يا سيد خوان؟

خوان: لا تكن سيئًا لا أريد سوى البطن والأحشاء.

استطرد الجزار قائلاً: إنهم لهذه الحمقاء.

قام بعض الصبية الصغار بترديد الكلمة قائلين: إلى الحمقاء.. إلى الحمقاء.

أخذت المرأة الكلى والمريء، مما أدى إلى وقوع الدم المتخثر والوحل فوق رأسها، وفي الجهة الأخرى، بين الجموع، توجد امرأتان أفريقيتان تقومان بسحب أحشاء حيوان إلى الخارج، وتوجد فتاة سمراء تحمل إناء به أحشاء حيوان آخر ثم انزلقت الفتاة فجأة ووقعت عمودياً على بركة من الدماء وأخفى جسدها الفريسة الشرهة، وتوجد أربعمائة امرأة سوداء هناك، يقفن في صف مستكينات وممسكات بالأباريق حيث تخادع كل منهن الأخرى على الدهن القليل المتبقي الذي خلفته سكينة الجزار، وعلى بعد خطوات منهن تفرغ أخريات محتويات البطن واللحم الجاف وأحشاء البقر القابلة للأكل وتضعهن في الأباريق.

ركلت مجموعة من الصبية كرات اللحم بأرجلهم ورؤوسهم محدثين ضجة كبيرة، مما أدى إلى تفريق سحابة النوارس المتأرجحة في الهواء إحتفالاً ببداية المذبحة، وعلى الرغم من اعتراض المصلح وقدسية اليوم، وسمع الجميع صياح غوغاء المذبح الملئ بالكلمات البذيئة، وهي كلمات تميزوا بها ولا أريد ذكرها للقراء.

فجأة وقعت رئة غارقة بالدماء على رأس أحدهم، وبعدها مرت على رأس شخص أخر، إلى أن رآها كلب حراسة قبيح فكانت صيدًا ثمينًا له ولآخرين، مما أثار شجار وصريخ هائل، وطاردت امرأة عجوز غاضبة صبي قد لوث وجهها بالدماء، وأساء الصبي معاملة المرأة حتى صرخت وجلب صراخها أصدقائه

الذيـن أحاطـوا بهـا كـما تحيـط الـكلاب بالثـور وأمطروهـا بقطـع مـن اللحـم وكـرات مـن الـروث مـع ضحـكات خشـنة وصراخ متكـرر، وظـل المشـهد كـما هـو إلى أن أرسـل القـاضي مـن اجـل إعـادة النظـام و إخـلاء المخيـم.

مـن ناحيـة أخـرى، تـدرب صبيـان عـلى تحريـك ورمـي السـكينة، مـما سـبب جروحـا ومصائـب هائلـة، ويوجـد عـلى الجهـة الأخـرى أربعـة بالغـين يتناقشـون حـول كيفيـة طعـن الجهـة اليمنـى للأمعـاء السـمينة التـي سرقوهـا مـن الجـزار، وعـلى مسـافة قريبـه منهـم يوجـد عـدد مـن الـكلاب النحيفـة نتيجـة للتقشـف، يمكثون في المـكان لمعرفـة مـن سـيحظى بقطعـة مـن الكبـد مغلفـة بالوحـل، وكان هـذا الوضـع الوحـشي هـو صـورة مصغـرة لمـا يحـدث في البـلاد، حيثـما يجب مناقشـة الشـئون والحقـوق الفرديـة والإجتماعيـة.

وفي النهايـة، ذلـك المشـهد الـذي وقـع في المذبـح

للرؤيـة وليـس للكتابـة.

بقـى حيـوان في الحظـيرة وحيـدًا إلى أن حانـت سـاعته، لديـه رقبـة قصـيرة ونظـرة متوحشـة ولم تكـن أعضـاؤه التناسـلية الظاهـرة متوافقـة، لأن لديـه أعضـاء ثـور وبقـرة، ثـم دخـل شـخصان عـلى أحصنتهـم إلى الحظـيرة التـي يمتلـئ محيطهـا بالغوغـاء، وكـوَّن هـذان الشـخصان المجموعـة الأكـثر بـروزًا وقبحًـا، وسـارت مجموعـة مـن الرّمـاة عـلى الأقـدام بـأذرع عاريـة، مسـلحين برمـاح، ورؤوسـهم مغطـاة بغطـاء للـرأس ترمـز ألوانـه إلى الفيدراليـين، ويرتـدون سـترات وبناطيـل هـي الـزي الرسـمي لمؤسسـة دعمهـا روسـاس (رئيـس الحكومـة الأرجنتينيـة في ذلـك الوقـت)، ويوجـد خلـف هـؤلاء الرمـاة مجموعـة مـن الـركاب متفرجـين بعـين فاحصـة توّاقـة، ومـا أن أمسـك الرمـاة بالحيـوان حتـى صـاح إلى أن وقـع لعابـه عـلى الأرض، ثـم ثبـت نفسـه بقـوة في

الوحـل، ولم تكـن هنـاك قـوة تسـتطيع الإمسـاك بـه وإخراجـه مـن الحظـيرة.

صرخـوا في الحيـوان، وضايقـوه عبثًـا ملوحـين لـه بالمناديـل الحمـراء، وتسـلق الصبيـة أسـوار المذبح، وعـلا صـوت نشـاز الصفـير والتصفيـق بالإضافـة إلى الأصـوات العاليـة العذبـة والتـي لا تصـدر إلا مـن أوركسـترا فريـدة مـن نوعهـا، وتناقلـت الكلـمات البذيئـة والهتافـات المضحكـة الفاحشـة عـلى أفـواه الجمـوع، وتباهـى كل شـخص بذكائـه وفطنتـه الظاهـرة وعفويتـه عـن طريـق الثرثـرة باللغـة الدارجـة مثـل: يـا ابـن العاهـرة.. يـا أيهـا الثـور العجـوز الـذي تـم إخصـاؤه.. يـا أيهـا الثـور الجبـان الغجـري.

قال أحدهم: إنها بقرة.

فقال الآخر: لا أقسم أنه ثور عجوز.

اسـتطرد الأول قائـلا: لا أصـدق أنـه ثـور، تبـدو

أعضاؤه التناسلية أنثوية.

رد الآخر قائلا: ألا ترى يا صديقي أعضاؤه الذكورية إنها أكبر من رأسه، أم أصابك العمى في الطريق؟

رد الأول قائلا: والدتك هي العمياء، أنت كالطفل الصغير، ألا ترى أن كل هذه النتوءات هي عبارة عن وحل ؟

فأجابه الثاني: إنه عنيد وفظ كالاتحاديين، وعند سماع تلك الجملة السحرية، هتف الجميع في صوت واحد قائلين: الموت للاتحاديين المتوحشين.

بالنسبة إلى الأعمى الأحمق.. نعم، بالنسبة إلى الأعمى.. إنه رجل أحمق يتشاجر مع الاتحاديين.. إنه البلطجي قاتل الاتحاديين.. يعيش الجزار.. سنعطي بعضا من لحم الثور إلى الجزار.

فجأة صرخ صوت مبحوح مقاطعًا تلك المزايدات المتملقة قائلا: لقد ذهب الثور إلى هناك.

إنذار، انقذ الجموع الموجودة عند البوابة، لقد ذهب هائجًا كالشيطان إلى هناك.

في الحقيقة، لقد ذعر الحيوان من الصرخات، وقبل كل شئ من الصاعق الحديدي الذي نغز مؤخرته، مما أشعره بالضعف وجعله يهاجم البوابة متذمرًا، وتتطاير من عيناه نظرات مليئة بالغضب (ملقيًا على الجانبين نظرات مليئة بالغضب). ثم أطلق الرامي الرُمح من القوس وهو جالس على حصانه مطلقًا صيحة مدوية في الهواء ليصيب الثور بضربة قوية، وأدارجزع الشجرة من أعلى الذي أنطلق كالفأس مستأصلا رأس طفل، وظل جسد هذا الطفل على حصانه دون حراك ويخرج من كل شريان فوران الدم.

قّطع الرمح الطفل، وصرخ بعض الناس قائلين: لقد ذهب الثور إلى هناك وأُصيب الآخرين بالذُّعر والاندهاش، لكنهم احتفظوا بالصمت لأن كل شيء حدث بسرعة البرق. أزاحت بعض الجموع الواقفين عند البوابة وتزاحموا عند جثة الصبي مقطوعة الرأس من قبل الرمح الظاهر عليها علامات الرعب، ويوجد مجموعة من الجنود في الجهة الأخرى لم يشهدوا وقوع تلك الفاجعة.

تسللت مجموعة من الحضور وراء الثور وهي تصرخ قائلة: ذهب الثور إلى هناك.. امنعوه.. أمسكوا به.

صاح أحدهم قائًلا: سأمسك بك أيها الغبي.. لا تجعلوه يتقدم.. اقطعوا عليه الطريق.

صاح أخر: اضرب هذا المبتور، لقد دخل إلى شارع صولا ، أتمنى أن يمنعه الشيطان.

كان صوت الضجيج والصراخ مثل الجحيم. عند سماع تلك الضجة، التصقت عدد من النساء السمراوات الجالسات على حافة الخندق ببعضهم البعض، واختفوا بين أمعاء وبطون الحيوانات التي انتشلوها وقاموا بلفها حولهم بصبر يعادل صبر أيوب، وهذا ما أنقذهم بالطبع، وما أن رآهم الثور حتي أطلق زمجرة مرعبة وقفز مهرولا إلى الأمام ويتبعه الجنود.

يُحكى أنه بمجرد ذهاب الثور توجهت واحدة منهم إلى أقرب حجرة، وقامت أخرى بالصلاة إلى السيدة العذراء عشر مرات في دقيقتين، فيما تعهدت إثنتان للقديس بندكت بعدم العودة مرة أخرى إلى تلك الزرائب الملعونة وبترك مهنة الجزارة، لكن لا أحد يعلم إذا ما أوفوا بعهدهم أم لا!

ذهب الثور إلى شارع صولا وهو شارع طويل وضيق ويوصل إلى المدينة، يبدأ من النقطة الحادة من المستطيل الذي يشكل المذبح والذي وصفته سابقًا، ويقطعه خندق وتكثر به الحواجز، وسمي بهذا الاسم بسبب عدم وجود أكثر من بيتين على جانبيه، كما يوجد في منتصفه مستنقع عميق يصل بين خندقين.

امتطى شخص إنجليزي حصانه وهو عائدًا من معمل السمك الذي يملكه، ثم عبر ذلك المستنقع إلى الأرض الجافة تدريجيًا، وكان منهمكا تمامًا في حسابات المعمل لدرجة أنه لم يسمع ضجة الجنود ولا صرخات الحضور، ولم ينتبه إلا عندما هاجم الثور المستنقع.

اهتاج حصان الرجل فجأة وقفز على المنحدر مسرعًا، تاركًا وراءه الرجل المسكين غارق نصفه

في الوحـل. وعـلى عكـس مـا كان سـابقًا، هـذة الحادثـة لم تقـف عائقًـا أمـام مهـام مطـاردي الثور الذيـن أطلقـوا ضحـكات عاليـة سـاخرة قائلـين: لقـد وقـع الإنجليـزي.. انهـض أيهـا الإنجليـزي، ثـم عـبروا المسـتنقع داهسـين جسـد الرجـل المسـكين بأرجـل أحصنتهـم.

خـرج الرجـل الإنجليـزي الأشـقر مـن المسـتنقع عـلى قـدر المسـتطاع، وجلـس غاضبًـا عـلى الحافـة كأنـه شـيطان خـرج للتـو مـن الجحيـم. بعـد فـترة هتـف الجميـع: إلى الثـور.. إلى الثـور. عنـد سـماع تلـك الهتافـات غطسـت أربعـة سـمراوات في خنـدق ملـئ بالمـاء ويعتـبر المـأوى الوحيـد الـذي بقـي لهـم.

انحـشر الثـور في حاجـز بعـد أن جـرى حـوالي مائـة مـتر في اتجاهـات مختلفـة مسـببًا هلـع

لـكل الكائنـات الحيـة، وهنـاك شـعر بالضيـاع رغـم أنـه مرهـق، إلا أنـه أظهـر حماسـا غاضبـا للهـرب، لكنـه كان محاطًـا بخنـدق عميـق وسـياج سـميك مـن نبـات الصبـار، لـذا لم يكـن هنـاك مفـر. وأحـاط بـه مطـاردوه وهـو يحـاول الهـرب، وحاولـوا خداعـه مـن أجـل الإمسـاك بـه لـكي يكفـر عـما اقترفـه في نفـس المـكان.

عـاد الثـور مـرة أخـرى إلى المذبـح بعـد سـاعة واحـدة مـن هربـه، حيـث لم يكـن هنـاك حديـث عـلى لسـان الرعـاع القلائـل المتبقيـين إلا عـن محاولـة هربـه، وأثـارت مغامـرة الإنجليـزي في المسـتنقع الضحـك والسـخرية، أمـا الطفـل الـذي تـوفى بسـبب الرمـح فلـم يبقـى في جثتـه نقطـة دمـاء واحـدة ودُفـن في المقابـر.

بعـد ذلـك، قـام الجـزارون بربـط الثـور في

العمـود، مـما جعلـه يقفـز ويثبـت نفسـه في الأرض مطلقًـا صيحـة مدويـة، وألقـى الجـزارون ثلاثـة رمـاح للإمسـاك بـه ولكـن دون جـدوى، أمـا الرابـع فظـل عالقًـا في قدمـه، مـما ضاعـف غضبـه وأضعـف صوتـه وأكـثر مـن لعابـه، ثـم انبعـث الدخـان مـن أنفـه وألقـى نظـرات غاضبـة عـلى كل مـن حولـه.

صاح صوت متجبر قائلاً: مزقوا هذا الحيوان.

ألقـى الجـزار سـكينا مـن فـوق حصانـه فقطـع كعـب الثـور بضربـة واحـدة ثـم راوغ الثـور بسـكينه الضخـم الـذي يمسـك بـه حتـى قـام بلف حبـل حـول رقبتـه فبـدت حمـراء للمشـاهدين. تدفـق الـدم مـن الجـرح فأطلـق الثـور صيحـة مدويـة وترنـح ووقـع وسـط صيحـات الغوغـاء التـي لقبـت الجـزار بالمنتـصر وخصصـت لـه جـزءا مـن اللحـم. افتخـر الجـزار بنفسـه لأن ذراعـه وسـكينه غارقـين بالدمـاء للمـرة الثانيـة،

ثـم انحنـى ليسـلخ الثـور مـع زمـلاءه.

كان ينقـص فقـط توضيـح حقيقـة الأعضـاء التناسـلية للميـت الـذي يتميـز بشراسـته الكريهـة والـذي تـم تقطيعـه مؤقتًـا، وذلـك لأن الجزاريـن أصابهـم الإنهـاك لصعوبـة المهمـة التـي واجهتهـم. أخـرج أحـد الحضـور خصيتـان ضخمتـان مـن بطـن الحيـوان قائـلاً بصـوت خشـن: هـا هـما خصيتـان الثـور وهـما الدليـل البـيّن عـلى ذكورتـه.

ازدادت الضحـكات والصيحـات بـين الحضـور وتـم توضيـح الأمـر لهـؤلاء البؤسـاء. فوجـود ثـور في المذبـح هـو شـئ نـادر الحـدوث ومحـرم مـن الكنيسـة، ووفقًـا لقواعـد الشرطـة الجيـدة يجـب أن يقـدم هـذا اللحـم للـكلاب، لكـن يوجـد الكثـير مـن اللحـم والكثـير أيضًـا مـن الجوعـى! لـذا كان عـلى القـاضي أن يتهـاون في المراقبـة.

تـم سـلخ وتقطيـع الثـور وتعليقـه عـلى عربـة الجـزارة، وفي لمـح البـصر وضـع الجـزار بعـض اللحـم في عربتـه المجهـزة للانـصراف، حتـى انتهـت المذبحـة السـاعة الثانيـة عـشر، أمـا الغوغـاء القليلـة المتبقيـة التـي واصلت المشـاهدة وانصرفـت في مجموعـات سـيرًا عـلى الأقـدام أو ممتطـين أحصنتهـم أو يلقـون بكـرات اللحـم عـلى سرج العربـة.

فجـأة انطلـق صـوت الجـزار الخشـن قائـلاً: لقـد جـاء شـخص مـن الاتحاديـين إلى هنـا، وعنـد سـماع تلـك الكلمـة الخطـيرة ظهـر عـلى وجـوه الغوغـاء تعبـير مفاجـئ ينـم عـن الغضـب.

تسـاءل الجـزار قائـلاً: ألم تـروا أي شـئ عـلى شـكل حـرف الألـف (اختصـار كلمـة اتحـادي) أو أي شيء خـاص بهـم؟

صاح أحدهم: كلب اتحادي.

قال آخر: إنه رجل مدني.

قال الثالث: إنهم نخبويون كالأجانب.

قال آخر: أنه متآمر.

قال آخر: هذا الشره! يجب أن نضربه.

احضروا الأسلحة عندما يظهر.

هؤلاء الإتحاديون الحمقى يرسمون كالشيطان.

أراهن أنك لم تراه يا ماتاسيتي؟

نعم لم يراه.

كان ماتاسيتي رجل أفعال لا أقوال، معتاد على العنف والسرعة والمهارة في استعمال الفأس والسكين والحصان، لذا لم يتكلم ولم يتصرف، أمسك بلجام حصانه وانطلق للقاء الإتحادي.

إنه هو، بينما خرجت تلك الصرخات من أفواه المتواجدين كالسيل، أسرع الشاب ذو الخامسة

والعشرين ربيعًا متجهًا نحو باراكس (منطقة في بوينوس ايرس) غير هيّاب من أي خطر.

مع ذلك، ظهرت على وجوه كلاب المذبح نظرات ذات مغزى، فذهبت آليًا إلى يمين الأسلحة الموجودة عند المقعد الإنجليزي، وعندما انحرفت عربة ماتاسيتي، أمسكت الكلاب بالشاب وطرحوه أرضًا فوقع على ظهره دون أي حركة.

صرخ الرعاع قائلين: يعيش ماتاسيتي، ثم وقعوا فوق الشاب الضحية، كالطيور الجارحة التي تنقض على بقايا ثور تم افتراسه من قبل نمر.

ألقى الشاب نظرات غاضبة ومتهورة على هؤلاء الرجال المتوحشين الواقفين عند رأسه

الـذي ظـل ثابتًـا يبحـث عـن سـلاح للتعويـض والانتقـام.

قفـز ماتاسـيتي ليكـون في مواجهتـه، حيـث قـام بجذبـه مـن رابطـة عنقـه فطرحـه أرضًـا مطلقًـا كلاب المذبـح في الوسـط وممسـكًا بحنجرتـه، أطلـق ضحكـة عاليـة مدويـة، ثـم أطلـق الحضـور الهتافـات (المتملقـة) بحياتـه بصـوت جهـوري.

يـا لرقـي وشـجاعة الفيدرالـين! دائمًـا مـا ينقضـوا عـلى فريسـتهم كالنسـور.

صـاح الحضـور: أراد إخـراج الأسـلحة، اذبحـه يـا ماتاسـيتي كالثـور.

صـاح أحدهـم: اتحـادي ماكـر، يجـب أن نقـص شـعره.

قال آخر: لديه عنق جميل لعزف الكمان.

صاح ثالث: اعزف على الكمان.

تلك الكلمات التي خرجت من الغوغاء يقصد بها تعذيب الفتي ليموت موتًا بطيئًا عن طريق قطع رأسه.

قال ماتاسيتي: موافقين؟ ثم ضحك ووضع حافة سكينه على حنجرة الشاب وركبته اليسرى على صدره ممسكًا شعره بيده اليمنى.

فجأه صرخ صوت من بعيد قائًلا: لا، لا تذبحوه، هذا الصوت هو صوت قاضي المذبح الذي يقترب على حصانه.

قال القاضي: خذوه إلى المنزل الصغير، إلى المنزل، احضروا مجتمع المصلحين (جمعية يدعمها روساس رئيس الحكومة آنذاك)

والمقصات. ردد المتفرجين هتافات تقول: الموت للاتحاديين المتوحشين! يعيش مصلح القوانين! يعيش ماتاسيتي! بينما يلكمون الفتى على أنفه ويضربونه ويشتمونه وهم يصرخون، ثم قاموا بسحب الشاب المسكين إلى منضدة لتعذيبه كما فعل اليهود مع السيد المسيح.

يوجد في ذلك البيت الصغير منضدة كبيرة وقوية في المنتصف، ولكن لا يوجد عليها زجاجات الشراب أو ورق اللعب، وذلك لأن فيدرالي المذبح الأشرار يستعملونها كمكان لممارسة التعذيب على أعدائهم، بالإضافة إلى منضدة صغيرة، يوجد عليها أدوات للكتابة ومفكرة، كما يوجد عدد من الكراسي يتخللهم كرسي بذراعين خاص بالقاضي.

جلس جندي على كرسي منهم يغني على

صـوت الجيتـار الأغنيـة الأكـثر شـهرة بـين الفيدراليـين، وعندمـا وصلـت الغوغـاء إلى المنـزل عـمّ الضجيـج ووجهـوا كلامهـم إلى الشـاب الاتحـادي.

صرخ واحد منهم قائلاً: نهدي لك تلك الأغنية.

قال آخر: فلتذهب روحك إلى الجحيم.

قال ثالث:إنه غاضب كالثور المتوحش.

قال آخر: سأروضه بالعصا.

قال آخر: يجب أن نضربه.

أضـاف واحـدًا منهـم قائـلاً: سنسـتخدم القضيـب الحديـدي والمقـص في الوقـت الحـالي.

صـاح القـاضي قائـلاً: اصمتـوا واجلسـوا، وجلـس هـو فـوق الكـرسي المخصـص لـه، وامتثـل الجميـع

لـكلام القـاضي إلا الشـاب الـذي ظـل واقفًـا، واتجه نحـو القـاضي يقـول لـه بصـوت ملـئ بالغضـب: أيهـا الجـلادون الخبثـاء مـاذا سـتفعلون بي؟ أجابـه القــاضي مبتســمًا: اهــدأ، لا يجــب أن تغضــب، سـترى الآن.

في الحقيقــة، كان الشــاب يهــذي مــن الغضــب، وكان جسـده يرتجـف، وملامحـه شـاحبة وزرقـاء اللــون، وكان صوتــه وشــفتاه يرتعشــان، ويظهــر ارتجـاف قلبـه واضحًـا، فتشـعر أن عينـاه سـتخرج مـن محجرهـما مـن الغضـب، حتى شـعره الأسـود الرخـو وقـف مـن الخـوف، وسـمح عـري رقبتـه وصـدره مـن رؤيـة الخفقـان الغاضـب لشرايـين قلبـه والنفـس المتلاحـق النابـع مـن رئتـه.

وجه القاضي كلامه للشاب قائلاً: أنت ترتجف؟

أجابـه الشـاب: أرتجـف مـن الغضـب، لأننـي لا

أستطيع خنقك بيدي.

استطرد القاضي قائلاً: هل ستكون لديك القوة و الجرأة لتفعل ذلك؟

أجابه الشاب: أملك من القوة والشجاعة ما يكفي، أيها الخسيس.

انطلق صوت قائلاً: ها هي المقصات، احلقوا له شعره على الطريقة الفيدرالية.

أمسك رجلان بالشاب، وأمسك واحد بذراعه والآخر برأسه، وفي خلال دقيقة واحدة، حلقوا له السوالف والذقن، مما أظهر ضحكات صاخبة على وجوه المتفرجين.

قال القاضي: أحضروا له كوب من الماء حتى ينتعش.

أجاب شخص بغضب: سأجعلك تشرب يا

حقـير.

وقـف شـخص أسـود أمـام الشـاب ممسـكًا بكـوب مـن المـاء، ركلـه في ذراعـه، مـما أدى إلى ارتطـام الكـوب بالسـقف وتلويـث ملامـح المتفرجـين التـي تعلوهـا الدهشـة.

صـاح أحدهـم: هـذا الفتـى غـير قابـل للإصـلاح والتهذيـب.

قال آخر: لقد قهرناه.

قـال القـاضي: اصمتـوا، ثـم وجـه حديثـه للشـاب قائـلاً: لقـد حلقـت الآن عـلى الطريقـة الفيدرالية، ولكـن ينقصـك حلاقـة الشـارب، لا تنـس حلاقتـه. والآن تبـدأ المحاكمـة.

القاضي: لماذا لم تحضر الراية معك؟

الشاب: لأني لا أريد ذلك.

القـاضي: ألا تعلـم أن المصلـح هـو مـن أوصى بذلـك؟

الشـاب: تلـك الشـارة لكـم أنتـم أيهـا العبيـد وليسـت للرجـال الأحـرار.

القـاضي: سـنجعل هـؤلاء الأحـرار يحملونهـا بالقـوة.

الشـاب: نعـم، بالقـوة والعنـف البهيمـي. تلـك هـي أسـلحتكم أيهـا الخبثـاء. تمتلـك الأسـود والنمـور القـوة مثلكـم، لـذا يجـب عليكـم المـشي عـلى أربـع مثلهـم.

القاضي: ألا تخاف من أن يفترسك النمر؟

الشاب: هذا أفضل من أن أقيد بهذة الطريقة.

وانطلقـت مثـل الغـراب عندمـا رأيـت الأمعـاء أمامـي واحـدة تلـو الأخـرى.

القـاضي: لمـاذا لم تضـع شـارة الحـداد عـلى قبعتـك مـن أجـل السـيدة البطلـة؟

الشـاب: لأننـي أشـعر بالحـداد في داخـلي مـن أجـل هـذا الوطـن، هـذا الوطـن الـذي قتلتمـوه

أيهـا الخبثـاء.

القـاضي: ألا تعلـم أن المصلـح هـو مـن أعـد تلـك الوليمـة؟

الشـاب: بـل أنتـم مـن أعددتموهـا أيهـا العبيـد الجبنـاء، لـكي تتملقـوا غـرور سـيدكم وتظهـروا لـه خضوعكـم.

القـاضي: لقـد تماديـت كثيرًا أيهـا السـفيه، سـأقص لسـانك إن لم تنتـه.

القـاضي: يوجـد أسـفل بنطـال هـذا الغبـي أرداف عاريـة، اضربـوه بالعصـا واربطـوه جيـدًا عـلى المنضـدة.

عندمـا نطـق القـاضي تلـك الجملـة، قـام أربعـة جلاديـن ملطخـين بالدمـاء بربـط الشـاب عـلى المنضـدة وبشـد جميـع أعضـاؤه.

قـال الشـاب: اذبحنـي قبـل أن تجـردني مـن ثيـابي أيهـا الوغـد الحبيـث.

قام الجلادون بربط منديل على فم الشاب وتجريده من ملابسه، انكمش الشاب وظل يركل الهواء حتى سُمِع صرير أسنانه، وأصبحت أعضاءه صلبة كالعصا أو الحديد، كان عموده الفقري يقوم بحركات أشبه بحركات الثعابين، وامتلأت ملامحه بقطرات عرق ضخمة كالؤلؤ.

قام الشاب بإلقاء نظرات حادة نارية، وامتلأ فمه باللعاب، وأصبحت شرايين رقبته وجبهته سوداء وبارزة كما لو كانت ستنفجر من الدماء.

صرخ القاضي قائلاً: اربطوه أولاً.

قال أحد الجلادين: إنه يزمجر من الغضب.

في غصون دقيقة واحدة، ربط الجلادون ساقي الشاب في أرجل المنضدة وقلبوا جسده بالعكس، وقاموا بربط ذراعيه بنفس الطريقة، وقاموا بإسدال الحبال من على ظهره، وأثناء ذلك قام الفتى بتحرير وثاقه بحركة مفاجئة

استعمل فيها كل قواه وحيويته، وحرر ذراعاه أولاً ثم ركبتاه، بعدها سقط في الحال وهو يغمغم قائلاً: اذبحني قبل أن تجردني من ملابسي أيها الجلاد الخبيث.

أنهكت قواه، لذا ربطوه على شكل صليب وبدأوا في تجريده من ملابسه مباشرة، حينئذ تدفقت الدماء كالسيل من فم وأنف الشاب حتى اتسعت رقعة الدماء وأصبحت على جانبي المنضدة.

ظل الجلادون ثابتون في أماكنهم، بينما صعق المتفرجون.

قال واحد منهم: لقد انفجر الاتحادي المتوحش من الغضب.

علق آخر قائلاً: لديه نهر من الدماء في شرايينه.

قال ثالث: هذا الشيطان البائس، كل ما أردناه هو التسلية لكنه أخذ الأمور على محمل

الجـد.

صرخ القـاضي مقطـب الجبـين قائـلاً: اتركـوه وهيـا بنـا نذهـب.

امتثـل الجميـع لأوامـر القـاضي، وألقـوا بالمفتـاح عـلى البوابـة، وفي خـلال دقيقـة، انصرفـت الغوغـاء بعـد أن انـصرف القـاضي عـلى حصانـه مكتئبًـا وصامتًـا.

وهكـذا، أنهـى الفيدراليـون بطولـة تتسـم بالشـجاعة مـن بطولاتهـم التـي لا حـصر لهـا، وكان جـزارو المذبـح السـفاحون في ذلـك الوقـت هـم الرسـل الذيـن ينـشرون فيدراليـة روسـاس (رئيـس الحكومـة آنـذاك) بالـضرب والخناجـر.

لـذا ليـس مـن الصعـب عليكـم تخيـل نوعيـة تلك الفيدراليـة التـي تنتـج مـن فكرهم وسـكاكينهم.

قامـوا بإطـلاق لقـب المتوحشـين عـلى الاتحاديـين وذلــك إتباعًــا لقــول المصلــح، والأب الروحــي للأخويــة الــذي لم يكــن ســفاحًا ولا جــزارًا ولا متوحشًــا ولا حتــى لصًــا، إنمــا كان رجـل عطوفــا ذا قلـب طيـب، وطنـي مخلـص منفتـح وصديـق للعلــم والحريــة.

وبالنسـبة إلى الحـادث السـابق فهـو يوضـح لنـا أن مركـز الفيدراليـة كان في المذبح.